المقتطف

الجزء السادس من المجلد الثامن والعشرين

١ يونيو (حزيران) سنة ١٩٠٣ — الموافق ٥ ربيع الاول سنة ١٣٢١

تعاون النبات والحيوان

الخصام والوئام ناموسان تخضع لهما الاحياء كلها فتراها تتزاحم وتتخاصم ويسلب بعضها بعضاً ويعيش بعضها بقتل البعض الآخر او تراها تتآلف وتتحالف ويعاون بعضها بعضاً على مبدإ الاخذ والعطاء والاشتراك في المنفعة

وقد يُظَنُّ لاول وهلة انهُ ان كان في الطبيعة هجوم ودفاع واقتناص واقتراس فهو بين طوائف الحيوان واما النبات فوديع سليم يُعتَدى عليهِ ولا يعتدي على احد وليس لهُ معيشة الاَّ من عناصر التراب التي لا تشعر بالم ولا تشكو من مصاب . لكنَّ هذا الحكم لا يؤخذ على اطلاقهِ فقد بيَّن الشهير دارون ان بعض انواع النبات ينصب الشباك للحيوانات ويصطادها ويغتذي بها. وبديهيٌّ انهُ لا يحاول اقتراس الوحوش الكبيرة بل الحشرات الصغيرة . لكنَّ من النبات انواعاً اصغر من كل صغير لا تراها العين لصغرها وهي هذه الميكروبات التي تسبب الطاعون والهواء الاصفر والسل والجذام ونحو ذلك من الامراض المعدية التي تفتك بالالوف من الناس والبهائم كل عام فهذه من انواع النبات ولذلك فالنبات ليس كلهُ بالوديع السليم ولا يكتفي بمعاداة الحشرات بل منهُ ما هو اشد عداء للانسان نفسهِ واكثر فتكاً بهِ من الاسود الضواري

غير ان الميكروبات النباتية لا تُرى بالعين كما تقدَّم فلا يندهش العقل من افعالها كما يندهش من رؤية نبات كبير بسط اوراقهُ كانها بُسُط وثيرة موشاة بالديباج حتى اذا لمستها ذبابة مجذوبة اليها بجمال منظرها انطبقت الاوراق عليها وضيقت خناقها الى ان تميتها ثم تمتص دمها وتغتذي بلحمها . او من رؤية زهرة بديعة المنظر ينتشر شذاها الطيب او ريحها الخبيث حتى تراها الحشرات وتغرى بمنظرها او تشم رائحتها فتخدع بها وتظن فيها اريجاً طيباً او لحماً ممتنعاً

فتقع عليها ولا تعود تقوم بل تسكر سكرة الموت ويمسي الآكل أكلاً والمفترس فريسةً

وظاهر الامر ان كل النباتات التي تصطاد الحشرات انما تصطادها لمنفعتها لكي تغتذي بها لا لغرض آخر . لكن من النبات ما يفعل ذلك مسخّرًا للحيوان اي انهُ يصطاد الحشرات لا لكي يغتذي بها هو بل لكي يغتذي بها الحيوان مثال ذلك نبات صغير ينبت في بلاد الراس في جنوبي افريقية وهو نجم يعلو نحو اربع اقدام ولهُ اوراق دقيقة متشعبة كما ترى في هذا

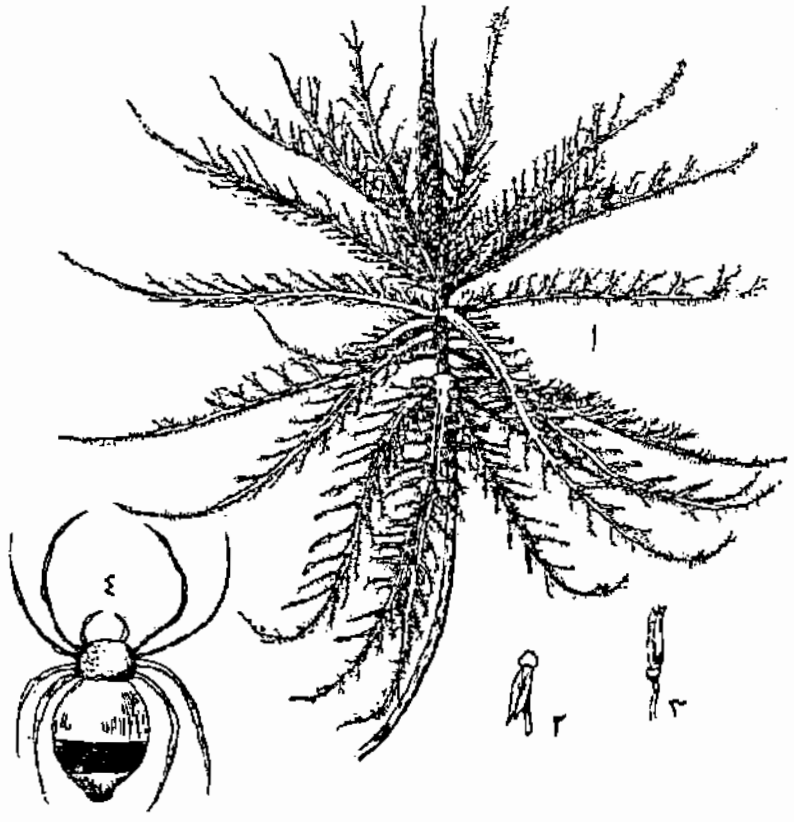

الشكل مغطاة بهلب عليهِ مادة لزجة اذا وقع الذباب عليها التصق بها فيستعملهُ الاهالي هناك لمسك الذبان ولا ترى نباتاً منهُ الاَّ وترى الحشرات الصغيرة من البعوض ونحوهِ لاصقة باوراقهِ

هناك نوع من العناكب وهو المرسوم تحت الرقم ٤ في الشكل ابطل نسج البيوت واعتاض منها هذا النبات حاسباً انهُ نشأ لاجلهِ . والمادة الدبقة التي تلصق بها الحشرات لا تلصق بها هذه العناكب فتبني لها عشاشاً صغيرة بين اوراق النبات تبيض فيها وتربي صغارها وتأوي

اليها لترصد فرائسها كأن اوراق النبات خيوط البيوت التي تنسجها العناكب مصائد للذباب حتى اذا قاد ذبابة حظها الى الوقوع على هذه الاوراق فلصقت بها شجمت العنكبوت عليها وافترستها غنيمة باردة كأن هذا النبات مسخّر لخدمة هذه العناكب

وفي بلاد بورنيو نبات آخر من النوع الذي يزهر ازهاراً كبيرة كالاباريق ويكون فيها سائل تقع فيه الحشرات فيرصد لها نوع آخر من العناكب حتى اذا وقعت هجمت عليها العناكب وافترستها. ويقال ان هذه العناكب اذا شعرت بخطر دنا منها غاصت في ذلك السائل واختفت عن الانظار

وهناك غريبة اخرى متعلقة بالنبات الذي صورناهُ آنفاً وهي ان من الذباب الذي يقع عليهِ ذبابة لا يلصق دبقهُ بها ولا تخشى منهُ شيئًا بل تتوقّع منهُ خيرًا لان في ازهارهِ اريًا سكريًا فتقصدهُ لاجلهِ ولها حمة تخرق جوف الزهرة بها وتمتص الاري (العسل). ولكن النبات لا يسلّم عسلهُ عفوًا ولا الذبابة تنتفع منهُ وتحجم عن نفعهِ بل عملت منّة الاخذ والعطاء وجرت عليها. فان سمات الزهرة اي اخيوط الدقيقة التي فيها او اعضاء التلقيح تكون اولاً نازلة الى الاسفل كما ترى عند الرقم ٢ فاذا وقعت الذبابة على رأس الزهرة لتثقبها وتمتص العسل منها ارتفعت السمات حالاً واجتمعت في الاعلى كما ترى عند الرقم ٣ فيطير اللقاح منها حينما تتحرّك هذه الحركة السريعة ويقع على الذبابة وينتقل بها من زهرة الى اخرى فتلقح الازهار بواسطة هذه الحشرات ولولا ذلك لضعف نسلها وذوت نضارتها

وجملة الكلام انهُ يقصد هذا النبات نوع من العناكب ونوع من الذباب لغاية معاشيّة الاوّل يتخذهُ مصايد لما يلصق بهِ من الذباب والثاني يجني العسل منهُ ويحمل لقاحهُ من زهرة الى اخرى فيستفيد منهُ ويفيدهُ

الهمّة بعد الستين

يظنّ الكثيرون انهم اذا بلغوا الاربعين فقد جازوا العمر كلهُ ولم يبقَ امامهم مجال للعمل والسعي وطلب المزيد وتراهم ولسان حالهم يردد ما قالهُ الشاعر العربي

وما ذا تبتغي الشعراء مني وقد جاوزت حدّ الاربعين

غير ان هؤلاء ليسوا كل الناس بل لا يزال هناك بقيّة باقية تحسب ان العمر مهما طال واستطال فالعمل والسعي لا ينفدان منهُ وان فرص النجاح مبثوثة في ساحة العمر وجوانبهِ بثّ الصيد في جوانب الصحراء فان لم يصب المرء صيدًا في اوائل يومهِ اصابهُ في اواخرهِ ولا بدّ